جمهورية العراق
وزارة التعليم والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية تربية /ابن رشد
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

التَّرجيح بين القراءات المتواترة

(بين الرفض والقبول)

إعداد
أ.م.د. طه سبتي إبراهيم

١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

المحتويات

المقدمة ١

المبحث الأول الترجيح بين القراءات المتواترة وأركانه..... ٣

المطلب الأول: تعريف الترجيح بين القراءات لغة واصطلاحاً ٣

المطلب الثاني: أركان ترجيح القراءة..... ٥

المبحث الثاني أوجه الترجيح بين القراءات المتواترة ومناقشتها ٦

المطلب الأول: أوجه الترجيح بين القراءات المتواترة..... ٦

المطلب الثاني: مناقشة أوجه الترجيح وأدلته ١١

المبحث الثالث الأدلة على جواز الترجيح بين القراءات المتواترة بالسِّياق وشروطه

..... ١٣

المطلب الأول: الأدلة على جواز الترجيح بين القراءات المتواترة بالسِّياق ١٣

المطلب الثاني: شروط الترجيح بين القراءات المتواترة بالسياق ١٥

الخاتمة ١٩

المصادر والمراجع..... ٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمد خاتم النَّبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد...

تُعدُّ القراءات القرآنية ضرباً من ضروب الاعجاز القرآني، وهي حجّة في العلوم الشرعية كافة، لما ترشد إليه من دلالات ومعانٍ، من أجل هذا ملئت كتب التفسير ومعاني القرآن واللغة وغيرها بالقراءات القرآنية، بل قد أُفردت لها الكتب والمصنفات، فهناك مَنْ كتب في رواية القراءات ونسبتها إلى مَنْ قرأ بها، وهناك مَنْ كتب في معانيها، وحجَّيتها.

إنَّ المتتبع لكتب التفسير ومعاني القرآن وعلل القراءات وحججها يجد مسألة الترجيح بين القراءات المتواترة ظاهرة أشدَّ الظهور وبعبارات الترجيح الصريحة أكثر من عبارات الترجيح غير الصريحة، في حين نجد بعض العلماء ممَّن صنفوا في علم القراءات القرآنية وعلوم القرآن ينكرون ذلك ويعدُّونه خروجاً عن المنهج الذي سار عليه الصحابة الكرام –رضي الله عنهم– ومن هؤلاء الأعلام الإمام أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) في (إعراب القرآن)، والإمام الزركشي (ت٧٩٤هـ) في (البرهان في علوم القرآن).

وهذا ما دعاني إلى الدخول في هذه المسألة (الترجيح بين القراءات المتواترة) وإبداء ما أراه راجحاً – والله أعلم – .

وقد قسمت البحث على ثلاثة مباحث وخاتمة يسبق الجميع مقدمة.

ذكرت في المبحث الأول تعريف الترجيح بين القراءات المتواترة وأركانه، وفي المبحث الثاني أوجه الترجيح بين القراءات المتواترة ومناقشتها، وهذه الأوجه هي الأدلة التي ذكرها المرجحون ولعلَّها الشواهد والأدلة التي استندوا عليها في الترجيح بين القراءات

المتواترة، وفي المطلب الثاني قمت بمناقشة أوجه الترجيح وأدلته إجمالاً، ورجَّحت عدم جواز الترجيح بين القراءات المتواترة إلا أن يكون الترجيح مبنياً على السِّياق الذي وردت فيه القراءات، وذكرت في المبحث الثالث الأدلة على جوازالترجيح بين القراءات المتواترة بالسِّياق والشروط التي يجب توافرها في الترجيح بين القراءات المتواترة بالسِّياق ، ثمَّ ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها ما توصلت إليه من نتائج.

المبحث الأول

الترجيح بين القراءات المتواترة وأركانه

المطلب الأول: تعريف الترجيح بين القراءات لغة واصطلاحاً

أولاً: الترجيح لغةً:

- **الترجيح لغةً:** تدلّ مادة (رَجَحَ) على التفضيل والرزانة والتقوية والزيادة.

قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): ((الراء والجيم والحاء أصل واحد يدلُّ على رزانة وزيادة، يقال: رَجَحَ الشيء وهو راجح: إذا رَزَنَ، وهو من الرجحان))[١].

و: ((رَجَحَ الشيء يَرْجَح بفتحتين، رَجَحَ رجوحًا من باب قَعَدَ لغة، والاسم الرجحان: إذا زاد وزنه))[٢].

ورجَّحه: أرجحه وفضله وقوَّاه[٣].

ثانياً: الترجيح بين القراءات المتواترة اصطلاحاً:

قبل أن أشرع في تعريف الترجيح بين القراءات المتواترة يجدر أن أورد تعريف الترجيح بوصفه مصطلحاً علمياً عاماً ثمَّ أنطلق من هذا التعريف إلى التعريف بمصطلح (الترجيح بين القراءات المتواترة).

ذكر العلماء للترجيح تعريفات كثيرة، لعلَّ أفضلها تعريف زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ)، وتعريف المناوي (ت١٠٣١هـ).

---

[١] مقاييس اللغة: ٣٧٢، مادة (رَجَحَ).

[٢] المصباح المنير: ٢١٩/١، مادة (رَجَحَ).

[٣] المعجم الوسيط: ٣٢٩/١، مادة (رَجَحَ).

- فقد عرَّف زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ) الترجيح بقوله:((إثبات مزية لأحد الدليلين على الآخر))[١].

- وعرَّفه المناوي (ت١٠٣١هـ) بقوله:((تقوية أحد الدليلين بوجه معتبر))[٢].

ومن ينظر في التعريف يجد أنَّ تعريف المناوي أدقّ، وذلك لأنَّه وصف وجه الترجيح (الدليل) بأنَّه معتبر، ولابدَّ من الدليل أن يكون معتبراً، وإلا كانت الترجيح ضعيفاً أو لا قيمة.

وقد عرّف الترجيح تعريفات أخرى غير مانعة ولا جامعة، وهي بمجموعها لا تخلو من مقال[٣] (والله أعلم).

الترجيح بين القراءات المتواترة

يمكن أن نعرف الترجيح بين القراءات المتواترة بأنَّه:((تقوية إحدى القراءات المتواترة على بعض بوجه معتبر يكون أقوى من وجه القراءة الأخرى (المرجوحة))).

وإنَّما قيل في التعريف (بوجه) لأنَّ الترجيح الذي لا يقوم على وجه أو دليل لا يسمَّى ترجيحاً، فوجه الترجيح هو الدليل الذي يقوي القراءة الراجحة، فإذا فُقِد الدليل بطلت عملية الترجيح[٤].

وتقييد الوجه بـ(معتبر) يفيد أن الدليل غير المعتبر لا يُعتَدُّ به في الترجيح بين القراءات.

---

[١] الحدود الأنيقة: ٨٣/١.

[٢] التوقيف على مهمات التعريف: ١٣٠/١.

[٣] ينظر: ترجيحات الفرّاء في التفسير في كتابه (معاني القرآن): د. طه سبتي إبراهيم: ص ٣٠.

[٤] ينظر: دلالة السِّياق القرآني: ١٩٦.

أمّا وصف القراءات القرآنية التي يكون الترجيح فيما بينها بـ(المتواترة) فلأنَّه محل الخلاف، إذ لا خلاف على أنَّ القراءة المتواترة مقدَّمة على القراءة الشاذة[1] من جهة القراءة والدلالة.

وقيل في وصف وجه الاعتبار (يكون أقوى من وجه القراءة الأخرى المرجوحة) يدلُّ على أنَّ وجه الترجيح الذي يؤيِّد القراءة الراجحة يجب أن يكون أكثر قوَّة ودلالة من الدليل الذي يؤيِّد القراءة الأخرى (المرجوحة)، وبهذه القوَّة التي تمتلكها القراءة الراجحة صار لها مزية أكثر من القراءة المرجوحة – وإن كان للثانية وجه ودليل–.

المطلب الثاني: أركان ترجيح القراءة.

وهي الأسس والمقومات التي تعتمد عليها عملية الترجيح وتقوم عليها، وإذا فُقِدَ ركن منها بطلت عملية الترجيح، وهذه الأركان ثلاثة ، هي:

١. القراءة الرَّاجحة: وهي القراءة التي قُوِّيت وعُزِّزت على القراءة الأخرى.
٢. القراءة المرجوحة، وهي القراءة التي يكون دليلها وشاهدها أقلَّ قوَّةً من الدليل أو الشاهد الذي يؤيِّد القراءة الراجحة.
٣. وجه الترجيح (الدليل): وهو الشاهد والبرهان الذي يُذكر لتقوية القراءة الراجحة.

---

[1] ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ١٠٤.

المبحث الثاني
أوجه الترجيح بين القراءات المتواترة ومناقشتها

المطلب الأول: أوجه الترجيح بين القراءات المتواترة

إنَّ أوجه ترجيح القراءات بعضها على بعض كثيرة، سأذكرها مع مثال لكلٍ منها:

١. الترجيح بآية قرآنية:

وهو أن يكون لمعنى القراءة الراجحة آية تدلُّ صراحة على هذا المعنى.

وذلك كترجيح قراءة (يَذَّكر) بتشديد الذال والكاف على قراءة التخفيف[١] في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[٢].

قال الإمام مكي القيسي (ت٤٣٧هـ): ((وحجَّة من خفّف أنَّه جعله من (الذِكر) الذي يكون عقيب النسيان والغفلة، وحجّة من شدّد أنَّه جعله من (التذكُّر) الذي هو بمعنى التدبر، فأصله (يَتَذكر) ثمَّ أدغمت التاء في الذال، وهو الاختيار، لأنَّه أبلغ في المعنى في التدبر والاعتبار للإنسان بخلق نفسه، كما قال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾[٣]))[٤].

---

[١] قرأ نافع وعاصم وابن عامر بتخفيف الذال والكاف، وقرأ الباقون بتشديدهما، ينظر: المستنير في القراءات العشر: ٢٨٣/٢، والنشر في القراءات العشر: ٣١٨/٢.

[٢] سورة مريم: الآية ٦٧.

[٣] سورة يس: الآية ٧٨.

[٤] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ١٩٥/٢، وينظر: على سبيل المثال في الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم الشيرازي: ٩٩٦/٢.

٢. الترجيح بالحديث النبوي الشريف:

وذلك بأن يكون الحديث النبوي الشريف دليلاً وحجَّةً على تقديم القراءة وتقويتها، من ذلك ترجيح قراءة (مسوِّمين) بكسر الواو على قراءة (مسوَّمين) بفتحها[١]، في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[٢].

قال الإمام ابن أبي مريم الشيرازي (ت٥٦٥هـ): ((بكسر الواو قرأها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب... وقرأ الباقون بفتح الواو... والقراءة الأولى أولى، لأنَّه قد جاء في الخبر أنَّه قال يوم بدر: (سوِّموا فإن الملائكة قد سوّمت)[٣]))[٤].

٣. الترجيح بكثرة مَنْ قرأ بالقراءة الراجحة:

فإذا اتفق أكثر القراء العشر على قراءة فإن هذا الاتفاق يصير دليلاً وشاهداً على ترجيحها وتفضيلها على القراءة الأخرى.

مثال ذلك ترجيح قراءة (الصابئين) بالهمز على قراءة (الصابين) بلا همز[٥].

---

[١] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب (مسوِّمين) بكسر الواو، وقرأ الباقون بفتحها، ينظر: التيسير في القراءات السبع للداني: ٧٥، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ٢/٣٥٩.

[٢] سورة آل عمران: الآية ١٢٥.

[٣] سنن سعيد بن منصور، باب جامع الشهادة ، رقم الحديث (٢٨٦١): ٢/ ٣٦٠ ، وذكر الشيخ أحمد شاكر أنَّ الحديث مرسل رواه عمير بن إسحاق القرشي عن النبيّ . صلّى الله عليه وسلّم . وعمير يُكتب حديثه ولا يحتجُّ به . ينظر:جامع البيان للطبري ، تح:الشيخ أحمد شاكر٧/١٨٦.

[٤] الموضح: ١/ ٣٨٢.

[٥] قرأ نافع وأبو جعفر (الصابين) بلا همز، وقرأ الباقون (الصابئون) بالهمز، يُنظر: التذكرة في القراءات: ٢/ ٣١٤، والنشر: ١/ ٣٩٧.

قال الإمام الأزهري: ((قرأ نافع وحده (الصابين) و(الصابون) بغير همز في كلِّ القرآن، وهمز الباقون (الصابئين)... والقراءة المختارة أن يهمز الباب لاتِّفاق أكثر القراء))[١].

٤. الترجيح لموافقة الرسم القرآني:

وهو أن تكون القراءة الراجحة موافقة للرسم القرآني على وجه التحقيق لا على وجه التقدير والاحتمال[٢]، فتقدم لموافقتها الرسم، من ذلك ترجيح قراءة إثبات الألف عند الوقف على قراءة حذفها في كلمة (الظنونا)[٣] في قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾[٤].

---

[١] معاني القراءات: ٥٢، وينظر: فيه على سبيل المثال: ٥٢٨، وفي جامع البيان للطبري: ٢٠٥/١٢، والكشف لمكي القيسي: ١/ ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٣٣، ٢/ ١٦٧، ١٧٠، ٢١١، ٣٦٠، ٣٧٤.

[٢] قسَّم الإمام ابن الجزري موافقة القراءة للرسم قسمين: الموافقة التحقيقية: وهي مطابقة القراءة الرسم القرآني مطابقة كاملة بلا زيادة ولا نقصان، مثل قراءة (ملك) في قوله تعالى ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ من سورة الفاتحة: الآية ٤، والموافقة التقديرية، وهي: الموافقة غير التامة للرسم، وتسمى: الاحتمال، مثل قراءة (مالك) بالألف في (ملك يوم الدين)، ينظر: النشر: ١/ ١١.

[٣] قرأ نافع وابن عامر وعاصم برواية شعبة وأبو جعفر بألف في الوصل والوقف في الكلمات (الظنونا، الرسولا، والسبيلا)، وقرأ أبو عمرو وحمزة ويعقوب بغير ألف في الحالين، وقرأ الباقون بألف في الوقف دون الوصل.

ينظر: المستنير: ٢/ ٣٧٣، والنشر: ٢/ ٣٤٧-٣٤٨.

[٤] سورة الأحزاب: الآية ١٠.

قال الإمام الأزهري: ((والاختيار عندي الوقف على هذه الألفات ليكون القارئ متبعاً للمصحف محققاً لما كتب فيه، مع موافقته كلام العرب، والقرآن عربيٌّ نزل بلغتهم))[١].

٥. الترجيح بقوَّة القراءة في اللغة:

من المقرر والثابت: أنَّ القراءات المتواترة لها دلالاتها وما يؤيِّدها في العربية، غير أن لبعض القراءات حجة ودليلاً أقوى وأظهر من جهة القياس والاستعمال إذا قُوبلت بالقراءة الأخرى (المرجوحة)، فيؤدي ذلك إلى ترجيحها.

من ذلك ترجيحهم قراءة (فعدَّلك) بتشديد الدال على قراءة التخفيف[٢] في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ ﴾[٣].

قال الإمام الفرّاء (ت٢٠٧هـ): ((ومن قرأ (فعدّلك) بالتشديد فإنه أراد – والله أعلم– جعلك معتدلاً معدَّل الخلق، وهو أعجبُ الوجهين إليَّ وأجودها في العربية، لأنَّك تقول: في أيِّ صورة ما شاء ركَّبك، فتجعل –في – للتركيب أقوى في العربية من أن يكون –في – للعدل، لأنَّك تقول: عدلتك إلى كذا وكذا، وصرفتك إلى كذا وكذا أجود من أن تقول: عدلتك فيه وصرفتك فيه))[٤].

---

[١] معاني القراءات: ٣٨٣-٣٨٤.

[٢] قرأ بتخفيف الدال عاصم وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون بتشديدها ، ينظر: الغاية في القراءات العشر لابن مهران: ٩٦، واتحاف فضلاء البشر للدمياطي: ٤٣٤.

[٣] سورة الانفطار: الآية ٦-٧.

[٤] معاني القرآن: ٢٤٤/٣، وينظر: على سبيل المثال في : معاني القراءات للأزهري: ١١٨، والكشف لمكي القيسي: ٢/ ٩٤، ١١٠، ٢٢٣.

٦. الترجيح بدلالة السياق:

والمعنى: أن يكون السِّياق الذي وردت فيه القراءات القرآنية دالاً على أحديهما أكثر من دلالة على القراءات الأخرى، فيكون الكلام متَّصلاً وعلى نسق واحد.

وذلك نحو ترجيح قراءة (ونُريَ فرعون) بضم النون من (نُري) ونصب (فرعونَ) و(هامانَ) و(جنودَهما) على قراءة (ويَرَى فرعونُ) بالياء في (وَيَرَى)، ورفع (فرعونُ)[١] في قوله تعالى: ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[٢]

قال ابن أبي مريم: ((بالياء من (يَرَى) والرفع من (فرعونُ) وما عطف عليه قرأهما حمزة والكسائي، والوجه أنَّ فرعون وهامان وجنودهما الراؤون للمحذور...، وقرأ الباقون (ونُريَ فرعونَ) بالنون مضمومة وبنصب (فرعونَ) وما عطف عليه، والوجه أنَّه على موافقة ما قبله، لأنَّ قبله ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾[٣]، (ونُرِيَ) والجميع من فعل الله تعالى، والكلّ على الأخبار عن المتكلم بلفظ الجمع، فحمل هذا عليه أولى ليكون الكلام على نمط واحد))[٤].

---

[١] قرأ حمزة والكسائي وخلف (ويَرَى) بياء مفتوحة و(فرعونُ وهامانُ وجنودُهُما) بالرفع، وقرأ الباقون (ونُرِيَ) بنون مضمومة و(فرعونَ وهامانَ وجنودَهما) بالنصب.

ينظر: التيسير للداني: ١٣٨، والنشر: ٢/ ٣٤١.

[٢] سورة القصص: الآية ٦.

[٣] السورة نفسها: الآية ٥-٦.

[٤] الموضح: ٢/ ٩٧٨-٩٧٩، وينظر: على سبيل المثال: الكشف: ١/ ٣٠١، ٣٠٥، ٣٢٦.

المطلب الثاني: مناقشة أوجه الترجيح وأدلته

عند النظر في أوجه الترجيح المذكورة في المبحث الثاني نجد أنَّها لا تقوم حجَّةً ودليلاً على تفضيل قراءة على أخرى، وذلك للأسباب الآتية:

١. الأصل عدم الترجيح بين القراءات المتواترة لما ذكره أبو جعفر النحاس:((السلامة من هذا عند أهل الدين إذا صحت القراءتان عن الجماعة أن يقال إحداهما أجود من الأخرى، لأنَّهما جميعا عن النبيِّ –صلى الله عليه وسلم–، فيأ ثم مَن قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة –رحمهم الله– يُنكرون ذلك))[١].

وكذا ما أورده الإمام الزركشي: ((عن ثعلب أنَّه جاء: إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن، فإذا خرجت إلى الكلام (كلام الناس) فضَّلت الأقوى، وهو حسن))[٢].

٢. إنَّ الترجيح بين القراءات المتواترة قد يُفضي ردّ القراءة الأخرى أو تضعيفها، وهذا لا يصحّ قطعاً، وقد ذكر الإمام الزركشي أنَّه:((قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأخرى، وهذا غير مرضي لأن كلتيهما متواتر...))[٣].

فإذا فتح باب الترجيح والتفضيل على مصراعيه فإن ذلك قد يفتح باب الطعن في القراءة الأخرى ورميها بالضعف.

٣. إنَّ الترجيح يُذهب ظاهرة التوسع في المعنى، لأنَّنا عندما نرجح قراءة فإنَّنا قد استبعدنا القراءة الأخرى، وهو يؤدي إلى إهمال معناها، وبذلك يذهب مظهر

---

[١] إعراب القرآن: ٤٣/٥.

[٢] البرهان في علوم القرآن: ٣٣٩/١.

[٣] البرهان: ٢٣٥، وينظر: الاتقان للسيوطي: ٢٤٧/١.

من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم وميزة من ميزاته التي انفرد بها، قال الإمام السيوطي(ت٨٣٣هـ):((وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر))[١].

٤. إنَّما يصار إلى الترجيح والمفاضلة عند التعارض (في الأغلب)[٢]، واختلاف القراءات القرآنية هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، قال الإمام ابن الجزري (ت٨٣٣هـ):((وأمَّا حقيقة اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها من النبي –صلى الله عليه وسلم– وفائدته فإن الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، فإنَّ هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[٣]))[٤].

---

[١] الاتقان: ٢/٤٤٥.

[٢] ينظر: شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي (د.مساعد الطيار): ٨٩.

[٣] سورة النساء: الآية ٨٢.

[٤] النشر: ١/٤٩.

المبحث الثالث
الأدلة على جواز الترجيح بين القراءات المتواترة بالسِّياق وشروطه

المطلب الأول: الأدلة علىجواز الترجيح بين القراءات المتواترة بالسِّياق

تقدم القول في المبحث الثاني بأنَّ أوجه الترجيح لا تقوم دليلاً وحجَّة على ترجيح قراءة على أخرى، بل هي أوجه وبراهين تدعم القراءة نفسها جنباً إلى جنب مع تواتر السند.

غير أني أستثني من هذه الأوجه وجه الترجيح بالسياق فأرى أنه يجوز الترجيح به وعده أمراً جائزاً مقبولاً إذا رُوعيَ في الترجيح شرطان أساسيان، والدليل على جواز الترجيح أمران، هما:

١. إنَّ الترجيح بالسياق ادخال للكلام لما قبله وما بعده، ولا شكَّ أن: ((ادخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له))[١].

٢. إنَّ معنى ترجيح قراءة على أخرى بالسياق: أن يكون معنى القراءة الراجحة أقرب إلى الموضوع أو المعنى الذي سيقت فيه القراءات من معنى القراءة المرجوحة، وهذا ممَّا لا بأس به، بل هو من التدبر والتفكر في معاني القرآن الكريم – والله أعلم –.

وهذا الأمر شبيه بقول القائل: ما الآيات التي تدلُّ تكريم الله تعالى الانسان؟ فيجاب: الآيات كثيرة، منها: –

---

[١] قواعد الترجيح عند المفسرين: ١٢٥، وينظر: جامع البيان: ٢٣/٦.

- ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [1].
- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [2]، فسجود الملائكة لآدم مظهر من مظاهر التكريم الإلهي للإنسان.
- ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [3].
- ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [4].
- ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [5].

فهذه الآيات وما شابهها تدل على تكريم الله تعالى للإنسان، غير أن الآية في سورة الإسراء ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ تدلُّ صراحة على المعنى (تكريم الله تعالى

---

[1] سورة الإسراء: الآية ٧٠.

[2] سورة البقرة: الآية ٣٤.

[3] سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

[4] سورة لقمان: الآية ٢٠.

[5] سورة التين: الآية ٤.

الإنسان) لأن فعل التكريم (كرمنا) مذكور فيها صراحة، فهي أكثر دلالة وأشد التصاقاً بموضوع التكريم الإلهي ومعناه.

ولا يفهم من هذا أنَّ تقديم هذه الآية على الآيات الأخرى يفضي إلى ردِّ الآيات الاخرى أو تضعيفها فهذا محال قطعاً، بل إنَّه يعني أنَّ هذه الآية أكثر دلالة وأقرب معنىً إلى الموضوع – والله أعلم–.

المطلب الثاني: شروط الترجيح بين القراءات المتواترة بالسياق

إنَّ ترجيح قراءة على أخرى بالسياق الذي وردت فيه يجب أن يكون خاضعاً لشرطين اثنين، هما:

١. أن لا يؤدي هذا الترجيح إلى تضعيف القراءة المرجوحة أو ردِّها، ويتمُّ ذلك عن طريق اختيار ألفاظٍ مناسبة مقيدة على إرادة الترجيح بالسِّياق، مثل: أقرب إلى قبلها وما بعدها، أشد مشاكلة لما قبلها وما بعدها...

كما فعل ذلك الإمام مكي القيسي في كتابه (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها)، والإمام أبو مريم الشيرازي في كتابه (الموضح في وجوه القراءات وعللها).

من ذلك ما ذكره الإمام مكي القيسي في ترجيح قراءة (نسيِّرُ الجبالَ) بالنون في (نُسَيِّرُ) ونصب (الجبالَ) على قراءة (تُسَيَّرُ) بالتاء ورفع (الجبالُ)[١] في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[٢]، فقال: ((وحجَّة من قرأ بالنون أنَّه بناه على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه، إذ هو فاعل

---

[١] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم التاء وفتح الياء في الفعل (تُسيَّرُ)، ورفع (الجبالُ)، وقرأ الباقون بنون مضمومة وكسر الياء في (نُسيِّرُ) ونصب (الجبالَ)، ينظر: الموجز في شرح أداء القراء السبعة للأهوازي: ٢٤٩، والنشر: ٣١١/٢.

[٢] سورة الكهف: الآية ٤٧.

كل الأفاعيل ومدبرها ومحدثها، وانتصبت الجبال بوقوع الفعل عليها، لأنَّ الفعل مبني للفاعل، وقوى ذلك أنَّه محمول على ما بعده من الإخبار في قوله ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ فجرى صدر الكلام على آخره لتطابق الكلام، وهو الاختيار، وحجَّة من قرأ بالتاء أنَّه بنى الفعل للمفعول، فرفع الجبال لقيامها مقام الفاعل، فهي مفعولة لم يسمَّ فاعلها، ويقوي ذلك قوله تعالى ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [1]، وقوله ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ [2]))[3].

وكذا ما ذكره الإمام أبو مريم الشيرازي في ترجيح قراءة (تَجمعون) بالتاء على قراءة (يَجمعون) بالياء[4] في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [5]، فقال: ((بالياء على الغيبة رواها –ص– عن عاصم، والمعنى المغفرة من الله خيرٌ مما تجمعه غيركم ممن تركوا القتال، وقرأ الباقون و–ياش–[6] عن عاصم (تَجمعون) بالتاء على الخطاب، والمعنى: خيرٌ ممَّا

---

[1] سورة النبأ: من الآية ٢٠.

[2] سورة التكوير: الآية ٣.

[3] الكشف: ١/١٧١، وينظر فيه أيضاً على سبيل المثال: ١/٣٣٦، ٣٦٩، ٣٨٢، ٤٢١.

[4] قرأ حفص عن عاصم (يَجمعون) بالياء، وقرأ الباقون (تَجمعون) بالتاء، ينظر: التيسير للداني: ٧٦، والنشر: ٢/ ٢٤٣.

[5] سورة آل عمران: الآية ١٥٧.

[6] المراد بـ(ياش) شعبة.

تجمعون أيُّها المخاطبون، وهذا أشدُّ مشاكلة للكلام الذي قبله لأنَّ ما قبله[1] على الخطاب))[2].

٢. أن لا يكون الترجيح بين القراءات المتعلقة بالمسائل العقدية أومسائل الأحكام، وذلك لأنَّ الترجيح بين القراءات القرآنية المتعلقة بالمسائل العقدية قد يؤدِّي إلى تعطيل صفة من صفات الله تعالى أو إنكار أمر متفق عليه، وذلك كالترجيح بين قراءتي فتح التاء وضمها في الفعل (عجبت)[3] في قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾[4].

أمَّا يتعلق بمسائل الأحكام فالمراد بها الأحكام الفقهية المتعلقة بأفعال المكلفين، فإن ذلك ممَّا لا يصح الترجيح فيه، وذلك لأنَّ ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى يعني تعطيل العمل بالقراءة الأخرى (المرجوحة) وهذا يؤدِّي إلى عدم العمل بمقتضاها ودلالتها فيضيق الحكم على المكلفين وتذهب المرونة التي انماز بها الفقه الإسلامي.

---

[1] يريد قوله تعالى في بداية الآية ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ ... ﴾.

[2] الموضح: ٣٨٩/١، وينظر: فيه على سبيل المثال: ٤٠٨/١، ٤٥٦-٤٥٧، ٥٠٣، ٥٦٢/٢، ٧٣٠-٧٣١.

[3] قرأ حمزة والكسائي وخلف (عجبتُ) بضم التاء، وقرأ الباقون (عجبتَ) بفتحها، ينظر: المستنير في القراءات العشر: ٢/ ٣٩٨، والنشر: ٢/ ٣٥٦.

[4] سورة الصافات: الآية ١٢.

وذلك كترجيح قراءة (يطَّهَّرْن) بتشديد الطاء والهاء على قراءة (يطَهُرْن) بسكون الطاء وضم الهاء[1] في قوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾[2].

أمَّا في ما عدا ذلك كالترجيح بين القراءات المتعلقة بالتفسير وغيرها فهو جائز – والله أعلم–.

---

[1] قرأ شعبة عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف (يطَّهَّرن) بتشديد الطاء والهاء وفتحهما، وقرأ الباقون (يطْهُرْن) بالتخفيف وضم الهاء، ينظر: التيسير: ٦٨، والنشر: ٢/ ٢٢٧.

[2] سورة البقرة: من الآية ٢٢٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

في نهاية البحث أودّ أن أسجل أبرز ما توصلت إليه:

١. إنَّ عملية الترجيح بين القراءات لابدَّ لها من أركان ثلاثة، هي: الرَّاجح (القراءة الراجحة)، والمرجوح (القراءة المرجوحة)، ووجه الترجيح (دليل الترجيح).

٢. إنَّ أوجه ترجيح قراءة على أخرى كثيرة، هي:

- الترجيح بآية قرآنية.
- الترجيح بحديث نبوي شريف.
- الترجيح بكثرة من قرأ بالقراءة الراجحة.
- الترجيح برسم المصحف ، وكون القراءة الراجحة توافق الرسم تحقيقاً لا تقديراً.
- الترجيح بقوَّة وجه القراءة الرَّاجحة من جهة اللّغة.
- الترجيح بالسِّياق.

٣. الأصل عدم جواز الترجيح بين القراءات المتواترة إلا إذا كان الترجيح بدلالة السِّياق الذي وردت فيه القراءة، إذ الترجيح بالسِّياق إدخال الكلام فيما قبله وما بعده، ولأنَّه يعني أن تكون القراءة الراجحة أقرب إلى السِّياق من القراءة المرجوحة.

٤. إنَّ الترجيح بالسِّياق يجب أن يُقيَّد بشرطين، هما:

- أن لا يؤدي هذا الترجيح إلى ردِّ القراءة المرجوحة أو تضعيفها.
- وأن لا يكون بين القراءات المتعلِّقة بمسائل العقيدة والمسائل الفقهية – والله أعلم–

وقبل أن أضع القلم أسأله تعالى أن يجعل عملي كلَّه صالحاً وأن يجعله لوجهه خالصاً وأن يجنبني فتنة القول والعمل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

الهمزة

- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر (أحمد عبدالغني الدمياطي) (ت١١١٧هـ)، تصحيح: علي الضباع، دار الندوة الجديدة.
- الاتقان في علوم القرآن (جلال الدين السيوطي) (ت٩١١هـ)، تح: أحمد بن علي، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- إعراب القرآن (أحمد بن محمد أبو جعفر النحاس) (ت٣٣٨هـ)، تح: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

الباء

- البرهان في علوم القرآن (محمد بن عبدالله الزركشي) (ت٧٩٤هـ)، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٧هـ.

التاء

- التذكرة في القراءات (طاهر بن عبدالمنعم بن غلبون) (ت٣٩٩هـ)، تح: د.عبدالفتاح بحيري، ط٢، الزهراء للإعلام العربي، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- التوفيق على مهمات التعاريف (محمد بن عبدالرؤوف المناوي) (ت١٠٣١هـ)، تح: د.محمد رضوان الداية، ط١، دار الفكر المعاصر – بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ.
- التيسير في القراءات السبع (عثمان بن سعيد الداني) (ت٤٤٤هـ)، عني بتصحيحه: أوتو يرتزل، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

الجيم

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (محمد بن جرير الطبري) (ت٣١٠هـ)، تح: محمود محمد شاكر، مراجعة وتخريج: أحمد محمد شاكر، ط٢، دار المعارف – مصر، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م.

الحاء

- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (زكريا بن محمد زكريا الأنصاري) (ت٩٢٦هـ)، تح: د.مازن المبارك، ط١، دار الفكر المعاصر – بيروت، ١٤١١هـ.

الشين

- شرح مقدمة التفسير لابن جزي (الدكتور مساعد سليمان الطيار)، ط١، دار ابن الجوزي – الرياض، ١٤٣١هـ.

الغين

- الغاية في القراءات العشر (أحمد بن الحسن بن مهران) (ت٣٨١هـ)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.

القاف

- قواعد الترجيح عند المفسرين (حسين بن علي الحربي)، ط١، دار القاسم – الرياض، ١٤١٧هـ.

الكاف

- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (مكي بن أبي طالب القيسي) (ت٤٣٧هـ)، تح: الشيخ عبدالرحيم الطرهوني، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

الميم

- المستنير في القراءات العشر (أحمد بن علي البغدادي) (ت٤٩٦هـ)، تح: د.عمار أمين الددو، ط١، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث – دبي، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- المصباح المنير في الشرح الكبير للرافعي (أحمد بن علي الفيومي) (ت٧٦٠هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، (د.ت).
- معاني القراءات (محمد بن أحمد الأزهري) (ت٣٧٠هـ)، تح: الشيخ أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- معاني القرآن (يحيى بن زكريا الفراء) (ت٢٠٧هـ)، قدم له ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- المعجم الوسيط (إبراهيم مصطفى)، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة – القاهرة، (د.ت).
- مقاييس اللغة (أحمد بن فارس) (ت٣٩٥هـ)، راجعه وعلق عليه: أنس محمد الشامي، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
- الموجز في شرح أداء القراء السبعة (الحسن بن علي الأهوازي) (ت٤٤٦هـ)، تح: د.حاتم صالح الضامن، ط١، دار ابن الجوزي – الرياض، ١٤٣٠هـ.
- الموضح في وجوه القراءات وعللها (ت٥٦٥هـ)، تح: د.عمر حمدان الكبيسي، ط١، جدة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

النون

- النشر في القراءات العشر (محمد بن محمد بن الجزري) (ت٨٣٣هـ)، علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية – بيروت، (د.ت).

الرسائل الجامعية والبحوث

- ترجيحات الفراء التفسيرية في كتابه (معاني القرآن)، (د.طه سبتي إبراهيم)، مجلة الأستاذ – كلية التربية/ ابن رشد – جامعة بغداد، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- دلالة السياق القرآني وأثره في التفسير (عبدالحكيم بن عبدالله القاسم)، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٠هـ.